ميـنـــــاء خانـفـــــوا

Canton (Khan–Fu)

د. طـارق بن فتحي بن سلطان
أستاذ التاريخ الإسلامي ا ساعد
كليـة التربية /جامعة ا وصل
ا وصل / العراق

ملخص البحث

لقد شغل هذا الميناء أذهان الجغرافيين المسلمين، فضلاً عن التجار، فهو بوابة الصين الأولى التي أطل منها هؤلاء التجار، ونقلوا مشاهداتهم إلى بلدانهم، عن بلاد الصين عبرهذا الميناء. كما نال هذا الميناء أيضاً عناية إمبراطورية الصين (ملوك الصين) بالدرجة الأساسية، فهو بوابتها المطلة على الخارج، وعن طريق هذا الميناء تستورد ما تحتاجه من السلع والبضائع التجارية، وتصدر عبره إلى البلدان المختلفة، ما يفيض عندها من السلع، مع ما تحققه هذه العملية التجارية من فوائد إقتصادية، عن طريق فرض الضرائب التي تجني ثمارها الإمبراطورية الصينية عبر ما يفرض على الصادرات والواردات من ضرائب.

المقدمــــة

خانفـــوا (Canton Khan - Fu)

يعد ميناء خانفوا Canton Khan - Fu (١٥–٢٣شمالاً و٣٠–١١٣ شرقاً) بين الموانيء الصينية المهمة، والتي شكلت حلقة الوصل بين حضارتين هي الحضارة الإسلامية، والحضارة الصينية الوثنية فكان هذا الميناء نقطة تبادل السلع التجارية والآراء والأفكار والمعتقدات، وهو أول ميناء صيني تصله السفن الإسلامية في ذلك الوقت، ولهذا برزت أهميته لدى المسلمين من جهة والصينيين من جهة أخرى، وظهرت هذه الأهمية من خلال إستقرار المسلمين في هذا الميناء، فشكلوا أكبر جالية أجنبية في الصين، وقدمت لهم الإمبراطورية الصينية التسهيلات التجارية، وبضمنها الإقامة الدائمة أو المؤقتة،وتسهيلات أخرى قلما تحلم بها جالية أجنبية في الوقت الحاضر. وقد جاءت هذه التسهيلات كما يبدو من خلال سلوك هؤلاء التجار المسلمين في التعامل، وإحترام تقاليد المجتمع الصيني ومعتقداته، والإلتزام بقوانين الإمبراطورية الصينية، فإستقروا في هذا الميناء، وبنوْا دورهم ومساجدهم، وحافظوا على عاداتهم وتقاليدهم، حتى أُعجب بهم أهل الصين، وتأثروا بهم وبأخلاقهم، فأسلموا وأخذوا ينشرون الدين الإسلامي بين أبناء الصين نفسها، حتى شكل الدين الإسلامي في الصين الدين الثالث في الدولة بعد الكنفوشية والبوذية، إذ بلغ عدد المسلمين فيها حسب إحصاء أجري في السبعينات، وهو إحصاء غير حديث، لكن هذا هو المتوفر بين أيدينا، أكثر من خمسين مليون نسمة .(١)

خانفوا: Canton Khan- Fu

كان ميناء كانتون Canton، أو خانفوا الصيني، يعرف عند التجار المسلمين بأسماء عديدة، يأتي في مقدمتها خانفوا أو خانقوا، إذ تشير هذه التسمية العربية لهذا الميناء Khan-Fu في القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، والذي

كان من أكثر الموانىء الصينية أهمية في الصين ومركزاً للتجارة البحرية مع شعوب غربي آسيا، وقد حدث خلط في تسمية هذا الميناء مع ميناء خانسا [٢] (Hang cu)Khansa وهذا الخلط في التسمية حدث في القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد، وربما جاء هذا الخلط من خطأ أثناء عملية النقل أو الكتابة، لكن في الحقيقة فإن خانفوا ,Khan–Fu هو إسم ميناء كانتون الذي عرفه التجار المسلمين[٣]. ويعد هذا الميناء من أوائل الموانى الصينية التي يصلها التجار، وفيه مرفأ عظيم لرسو السفن[٤]. وقد أشار إبن الفقيه إلى هذا الميناء عند حديثه عن الطريق البحري من الهند إلى الصين قائلاً : ((ومن صندرفولات إلى الصين مسافة شهر ...فإذا جاوزت الأبواب صرت إلى ماء عذب يقال له خانفوا، يكون فيه مد وجزر في اليوم والليلة مرتين)).[٥] ونتيجة للعلاقات التجارية بين البلاد الإسلامية في القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، وبين بلاد الصين،فقد إتجهت أنظار التجار المسلمين إلى بلاد الصين، وأخذ ميناء خانفوا يعج بالتجار القادمين من بلاد المسلمين، وغيرها من البلاد المجاورة [٦]، لغرض التجارة بالدرجة الأولى في بداية الأمر. وقد عرف المسلمون موانىء صينية أخرى لسنا الآن بصددها في هذا البحث، وتوغلوا إلى داخل بلاد الصين عبر القناة العظمى Grand Canel التي تربط شمال الصين بجنوبها.مثل ميناء الزيتون وهو ميناء جوان شو Chaun Chowفي فوكين، وقد إشتق المسلمون إسم الزيتون من إسم أشجار Tzha–Thungالتي زرعت حول المدينة [٧].

وفي خانفوا Canخصص قسم من المدينة لسكنى التجار الأجانب، ومنهم المسلمين، إذ صدر مرسوم إمبراطوري سمح بموجبه للأجانب بالسكن في هذا الميناء، إما بصورة مؤقتة أو دائمة، حسب رغبة التاجر الأجنبي [٨]، وكان يشرف على إدارة هذه المدينة كتُاب ومشرفون ينوبون عن الإمبراطور الصيني، للإشراف على إدارة شؤون السفن والتجار القادمين إلى هذا الميناء المهم. [٩] ويبدوأن وضع إدارة هذا الميناء تحت إشراف الإمبراطور الصيني بصورة مباشرة نظراً لأهميته، ولغرض إتخاذ الإجراءات الإدارية المباشرة لتعديل أي خلل تجنباً للتسلسل الإداري

الطويل والمعقد، كما يبدو أن هذا الإجراء قد يعود أيضاً لحاجة الدولة الماسة إلى السلع الأجنبية، وخوفاً من تصدير عدد من السلع المحرم تصديرها عندهم.

إن معلوماتنا عن بدايات الإستقرار الإسلامي في الصين تكاد تكون غامضة في المصادر العربية، وإن إشارات قد ذكرت أن قسماً من المسلمين قد وصلوا إلى الصين في الفترة الأموية أي قبل سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، وقام هؤلاء المسلمون بدور الوساطة التجارية، شأنهم شأن أسلافهم في فترة ما قبل ظهور الإسلام .(١٠)

ولو رجعنا إلى خارطة طريق الحرير (١١)، لوجدنا عمق الصلات بين البلاد الإسلامية، وبلاد الصين، في فترة ما قبل الإسلام، وفي الفترة الإسلامية. إذ كون المسلمون لهم مجمعات سكنية في مدن الصين المختلفة ومن بينها ميناء خانفوا . Cantonولا يوجد لدينا من النصوص ما يشير إلى كيفية الإستقرار وما هي شروطه، ولكن يبدو أن الهدف الأساسي من منح رخصة الإستقرار هو لغرض التجارة بالدرجة الأساسية.

ومن الجلي أن المسلمين قد وصلوا إلى ميناء خانفوا Cantonفي زمن مبكر وإستقروا بها، حيث يذكر Chau Ju Kua أنهم أصبحوا من الكثرة في عام ١٤١هـ/٧٥٨م بحيث أنهم إستطاعوا نهب المدينة وإحراقها، ويستشف أيضاً من هذا النص أن المسلمين وصلوا مبكرين إلى الصين، وكانت أعدادهم كبيرة، في هذا الميناء وكانوا على دراية ببحر الصين أكثر من الصينيين أنفسهم، حتى أن ركوبهم البحر، يعني أنهم كانوا متأكدين من أن الصينيين لن ينالوهم (١٢) .إن هذا النص يثير الشكوك حول موقف المسلمين في الصين، إذ أن الحكومة الصينية قد عاملتهم معاملة حسنة، لكن ربما حدث ما يعكر صفوهم، من فرض ضرائب أو معاملة سيئة، فقاموا بأخذ بضائعهم وركبوا البحر ففسرت هذه الحركة من قبل المؤلف والصينيين أنفسهم على أنها نهب للمدينة، فالمسلمون هم التجار وبيدهم السلع النادرة، وأحوالهم الإقتصادية جيدة مقارنة بالصينيين أنفسهم، فضلاً عن سكوت المصادر العربية عن ذكر هذه الحادثة، مما يؤكد ماذهبنا إليه وهو حصول سوء فهم لتصرف التجار المسلمين في ميناء خانفوا .

وقد أكد تاريخ التانغ Kwanngtung قدوم جماعات من المسلمين إلى الصين : ((في عهد دولة تانغ Ta'ng[١٣]، وفد على كانتون Canton (خانفوا) عدد كبير من الغرباء من مملكة أنام (إحدى مقاطعات الصين الجنوبية) Annam وكمبوديا– الخميرKhmer–، Combodia ومدينا– المدينة المنورة– وبعض بلاد أخرى، وكان هؤلاء الغرباء يعبدون الله، وليس لهم في معبدهم تمثال ولا صنم، وكانت مملكة مدينا قريبة من مملكة الهند ، وفيها نشأت ديانة هؤلاء الغرباء . يقصد بها الدولة الإسلامية التي عاصمتها المدينة المنورة في العصر الراشدي . التي تختلف عن ديانة بوذا ، وكانوا لايطعمون لحم الخنزير ، ولا يشربون الخمر ، ويعدون الذبائح التي لايذبحونها بأيديهم طعاماً نجساً ،ويطلق عليهم إسم هوي . هوي Hui-Hui، ولما إستأذنوا الإمبراطور ، وحصلوا منه على إذن بالإقامة في كنتن Canton (خانفوا) بنوا دوراً جميلة من طراز يختلف عن ذلك الذي كان في بلادنا ، وكانت لهم ثروة عظيمة ، ودانوا بالطاعة لرئيس إنتخبوه بأنفسهم)).[١٤]

فإستقر عدد من التجار المسلمين على مر الأيام في بلاد الصين، نتيجة للعلاقات التجارية الطيبة سواءً كانت عبر الطريق البري أم البحري [١٥] . وقد أطلق الصينيون لفظة التاشي (التاجيك) Taziللدلالة على هؤلاء المسلمين [١٦] . فكانت بداية الإستقرار في مدينة خانفوا Canton، حتى لقد عدت الجالية الإسلامية في هذه المدينة أكبر جالية للمسلمين في بلاد الصين [١٧] . وهذه المدينة هي من أكبر المدن التي رآها إبن بطوطة على وجه الأرض مقسمة على ست مدن، وكان بها قاضٍ مسلم وشيخ للإسلام وأولاد أحد كبار التجار وهو مصري [١٨] .

ونتيجة لطريقة البناء في ميناء كانتون، وهي تسقيف أسقف المنازل والمحلات بالخشب، وحدوث حرائق تنتقل إلى الإسواق أو الدور المجاورة مع ما تخلفه هذه الحرائق من دمار كبير من الناحية البشرية والإقتصادية، فقد صدر مرسوم إمبراطوري عام ١٩١هـ/٨٠٦م، أجبر بموجبه الناس في خانفوا Canton، على ترك تسقيف البيوت والمحلات بالخشب [١٩] .

ويبدو أن المسلمين الذين إستقروا في مدينة خانفوا Canton قد إتخذوا

لهم أسواقاً خاصة بهم تحت إشراف الحكومة الصينية، [٢٠] ومن المرجح أن المسلمين الذين إستقروا في الصين وفي ميناء خانفوا Cantonبالذات، قد نقلوا معهم التقاليد الخاصة بالأسواق الإسلامية، حيث كان لكل حرفة أو تجارة سوقاً خاصاً بها، كما ويبدو أن الإستقرار الإسلامي في بلاد الصين جاء بشكل تدريجي، من خلال إستقراء نصوص السيرافي وماركو بولو وإبن بطوطة، أن المسلمين إستقروا أول الأمر في جزر جاوة وبورنيو وسومطرة وغيرها من جزر جنوب شرقي آسيا، ثم إنتقلوا بعد ذلك إلى مدن الصين، فكانت مدينة خانفوا Canton أول يابسة وطئتها أقدام المسلمين في الصين، [٢١] ثم إنتقلوا إلى بقية مدن الصين الأخرى الساحلية مثل مدينة الزيتون Chuan- Chou وإستقروا بها [٢٢]، وقد ورد في كتاب Relationعند حديثه عن العلاقات التجارية إلى ((أن خانفوا هي مركز التجارة الكبير بين العرب عامة والصينيين ...وكان والي خانفوا الصيني يحمل لقب ديفو(ضو– ظو)))(٢٣) .

ومما تجدر الإشارة إليه، أن إمبراطورية الصين كان لها دور مهم في إستقرار التجار المسلمين في موانىء الصين، ومنها ميناء خانفوا Canton، ومن أجل تشجيع التجار على القدوم إلى بلاد الصين، عملت الدولة على إعادة تنظيم ديوان البحرية في هذا الميناء، وأشرفت إشرافاً مباشراً على أمور التجارة منعاً للإحتكار، أو سيطرة بعض التجار على السوق (٢٤)وتبين هذا من خلال قيام إمبراطورية الصين بإرسال وفود عديدة إلى البحار الجنوبية، وإلى الدول المجاورة من أجل تشجيع التجار للقدوم إلى الصين، ومرافقتهم فضلاًعن تقديم تسهيلات تجارية للتجار.[٢٥] وقد كان قسم من سفن الصين أيضاً تصل إلى ميناء كله Galle (٢٦)حيث تلتقي في هذه المنطقة السفن الإسلامية والسفن الصينية، وتقع كله Galleتقريباً في منتصف الطريق البحري بين الموانىء الإسلامية، أمثال موانيء سيراف والبصرة وصحار وعدن وجدة وميناء خانفوا الصيني Canton[٢٧] .

وكانت المراكب التي تتاجر مع الصين تعرف بالجنوك، ومفردها جنك، وخلال القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، إقتصر خط إبحارها على الساحل بين كويلون (٢٨) Cuilon (٤٠–٧٦شرقاً و ٠٠–٥٩شمالاً) أي كولم ملي في الجنوب الغربي من الهند إلى ميناء خانفوا كانتون Canton في الصين [٢٩] .

أما عن حجم السفن التي كانت تتاجر مع بلاد الصين، فكانت كبيرة جداً، وتثير إعجاب أهل خانفوا Canton في القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، لإرتفاعها ولضخامتها بحيث يُضطر إلى إستخدام السلالم للصعود إلى سطحها [٣٠] وتحتاج السفن التجارية القادمة إلى بلاد الصين إلى خدمات عديدة، يأتي في مقدمتها إصلاح السفن المعطوبة أثناء الرحلة الطويلة من البحار الإسلامية إلى بلاد الصين، فظهرت لدينا مراكز بحرية لإصلاح هذه السفن (دور صناعة)، وتطورت الحال أكثر عندما نشأت في مدينة خانفوا Canton مراكز لصناعة السفن [٣١]، وقد صنعت هذه السفن في الصين من مواد محلية وأخرى مستوردة، إذ تدخل الأخشاب أيضاً في قائمة إستيرادات الصين مثل خشب الساج على سبيل المثال [٣٢] .

وكانت هذه السفن المتاجرة مع الصين تشد بمسامير مصنوعة من الخشب وتربط بالحبال المصنوعة من الليف((فعلى الرغم من ضخامتها –السفن – لم يستخدم الحديد في ربط أجزائها، بل إنها محبوكة بالحبال... وفي قاليقوط(٣٣)– كلكتا – يخيطون الألواح جيداً بحيث لا ينفذ منها الماء، ويرشقون بها عدداً ضخماً من المسامير الحديدية)) [٣٤] . لحمايتها من الكائنات البحرية.

وعن عائدية السفن، فقد كان قسم كبير منها يملكها التجار المسلمون، والقسم الآخر كان يملكه الصينيون، أما القسم الآخر فكان يؤجر للتجار لنقل بضائعهم، ولعامة الناس لغرض السفر، كما أخبرنا إبن بطوطة، بحيث توجد فيها أجنحة خاصة لإقامة النساء أو العوائل [٣٥] . وتستغرق الرحلة من البصرة في العراق

إلى خانفوا Cantonفي الصين عاماً ونصف العام ذهاباً وإياباً، حيث يقضي التجار فصل الصيف بين أهليهم قبل الرحلة. (٣٦)

وهنا تبرز حقيقة مهمة في المحيط الهندي، وهي أن مدن السواحل إزدادت أهميتها مقارنة بالمدن الداخلية، ويعود السبب في ذلك إلى الوحدة السياسية التي أحدثتها الدولة الإسلامية في العصرين الأموي والعباسي، وإلى ظهور وتطور المرشدات الملاحية التي ساعدت على ذلك التقدم، حتى إن المدن النهرية، فاقت المدن البرية في أهميتها الإقتصادية، فأصبحت فيها أسواق ضخمة للبيع والشراء، يجتمع فيها أجناس شتى من بقاع العالم القديم، ولذلك كان هناك أناس مهمتهم الترجمة من لغة إلى أخرى. وكانت هذه الموانىء تقع على مصاب الأنهار لكي تسهل عملية الدخول إلى البلاد وجلب السلع أو تصريفها إلى داخل البلاد، ومنها ميناء خانفوا Canton(٣٧).

أما عن إستقبال السفن التجارية في ميناء خانفوا Canton، فيمدنا Chau Ju Kua بتفاصيل شيقة بالنسبة للقواعد المرعية، من قِبل مستقبلي السفن القادمة إلى الصين من الموانىء الأجنبية والداخلة إلى ميناء خانفوا Canton، حيث يقوم حراس الميناء بتزويدها بالسامسشو (وهو سكر صيني يقطر من الأرز، يقدم للضيوف القادمين إلى موانىء الصين، كبادرة لحسن الإستقبال وللترحيب بهم) كما يزودونها بحامية للحراسة تحرسها حتى تصل إلى ميناء خانفوا Canton، حيث تلقي مراسيها في منطقة التفتيش الخاصة بالبضائع الأجنبية وهي سرادق في كانتون، ويرسل مكتب التفتيش جنوداً لمراقبة سطح السفينة (٣٨) . ثم يقوم ربابنة السفن بتسجيل ما لديهم من بضائع وعلى وفق ماهو مسجل في سجل السفينة، ويتم ذلك بشكل دقيق، بعدها يصعد مسؤولو الميناء إلى السفينة لتدقيق ماهو مسجل لديهم، فإذا وجدوا بضاعة غير مسجلة في السجل بقصد التجارة، تصادر هذه، وإذا تطابق سجل السفينة على وفق ما هو موجود فعلاً، فرضت الضريبة (العشور) على

ما تحمله السفينة، وتقرب الضرائب المفروضة على البضائع بين ١٠–٤٠٪ حسب نوعية البضاعة وغلاء ثمنها وأهميتها. وبعد أن يدفع التاجر ما عليه، يعطى صكاً بتسديد ما بذمته للدولة، ويسمح له بعد ذلك بتفريغ البضاعة على البر [٣٩] .

وفي بعض الأحيان كانت الدولة الصينية تحتاج شراء بعض السلع التجارية من التجار، فيقدر ثمنها بأعلى الأسعار، ويدفع ثمنها مقدماً، فكان الإمبراطور الصيني يرسل مع كل سفينة عدداً من أتباعه لإنتخاب أجود البضائع،وكان الطريق من خانفوا إلى العاصمة خمدان Chang An يقطعه المسافر في شهرين.[٤٠] ويشير هذا الإجراء إلى ضمان حق التاجر، حتى لايبقى لديه أدنى شك، من أن موظفي الدولة قد غصبوه حقه.وعند السماح للتجار بتفريغ البضائع،تفرغ في مخازن كبيرة أعدتها الدولة في الموانىء والمدن لخزن بضائع التجار، حرصاً عليها من السرقة بالدرجة الأولى، وللمحافظة على إستقرار الأسعار، لأن من تصل بضاعته في بداية الموسم ويبيعها يحصل على أعلى الأرباح، في حين لايحصل التاجر الذي يصل في آخر الموسم، إلا على أقل الأرباح [٤١]، وهذا ما لا نجده اليوم عند أرقى الدول تقدماً، إذ يحصل التاجر الذي تصل بضاعته إلى السوق أولاً على أعلى ربح،في حين يبيع التاجر الذي تصل بضاعته بعده بربح أقل وهكذا، بل ربما يبيع التاجر الذي تصل بضاعته في الآخر بخسارة وربما تكون كبيرة، وهذه إلتفاتة كريمة من الإمبراطورية الصينية في ذلك الوقت لتشجيع أكبرقدر من التجار للقدوم إلى الصين لأن حق التاجر وربحه مضمون بهذه الطريقة.

ولم تكن السفن الراسية في أي من الموانىء الصينية، ترسو لمدة يوم أو بضعة أيام، فربما مكثت أشهراً في هذا الميناء، لأن حركة الملاحة في مياه المحيط الهندي، إرتبطت بحركة الرياح الموسمية، لذلك أقيمت النزل أو الفنادق لمبيت التجار والمسافرين في الموانىء، ولتنظيم أمور التجار، وحل ما يحدث بينهم من خلافات وحسمها، وكان للصينيين في أغلب الموانىء الصينية موظف كبير لمثل

هذه الأمور، وهي أشبه بالمحاكم المدنية التجارية وهي صينية طبعاً . كما كان لكثير من التجار زوجات وعائلات في الموانىء المختلفة مما يدل على طول مدة بقائهم بالميناء، كما أدى طول مدة الإنتظار إلى حدوث حالات من الزواج بين التجار وأهالي الميناء، مما أدى إلى إنتشار بعض العناصر الثقافية والحضارية، وهنالك إشارة أوردها النديم تؤكد أن الإمبراطورية الصينية كانت لاتسمح بمغادرة المرأة الصينية لبلاد الصين ((وإذا تزوج الواحد منا إليهم وأراد الإنصراف قيل له دع الأرض وخذ البذر–أي الأولاد–. (٤٢)

وإقتضى النشاط التجاري في الموانىء الصينية ومنها ميناء خانفوا Canton، وجود وإستقرار جماعات من التجار مهمتها تجميع السلع وتخزينها في الموانىء إلى حين قدوم السفن التجارية (٤٣). كما ظهرت في الموانىء الصينية وظيفة ((وكيل التجار)) أو ((رئيس التجار))، وتتحصر وظيفة هذا الشخص بأنه يهتم بمصالح التجار ورعايتها ومباشرة قضاياهم، وفي حالة عدم حصول التاجر على إئتمان أو شريك أو وكيل أعمال، كان وكيل التجار يقوم بالإشراف على تسويق بضاعته، كما يشتري له السلع التي يحتاجها، وربما يقوم هذا الوكيل بمراعاة شؤون التجار في حالة غيابهم أو سفرهم إلى بلدانهم (٤٤) .

وهناك ملاحظة تجدر الإشارة إليها، وهي مدى عناية إمبراطورية الصين بالتجار والتجارة الخارجية، فعند وصول السفن التجارية إلى الموانىء الصينية، ومنها ميناء خانفوا Canton، يصعد اليها وكلاء الإمبراطور – موظفوا الميناء– ليسجلوا ماتحمله السفينة من الرماة (الذين يقومون بحماية السفينة وحمولتها من أي خطر قد يصيبها أثناء رحلة السفينة)وطاقم السفينة والخدم، ثم يباح لهم بالسفر، فإذا عادت السفينة أحصي من فيها بما هو مسجل عندهم، فإذا وجدوا نقصاً في الأشخاص كان صاحب المركب مسؤولاً عن ذلك، إلا إذا أثبت سبب ذلك النقص.(٤٥) ويشمل هذا الإجراء السفن الصينية أيضاً، عند مغادرتها لموانىء الصين وعند عودتها .(٤٦)

وإذا أراد التاجر المسلم أن ينتقل بين مدن الصين وموانئها المختلفة، يعطى وثيقة سفر يحدد وجهته، ويبرز التاجر هذه الوثيقة في نقاط التفتيش المختلفة، ويدقق ما يحمله التاجر عند كل نقطة تفتيش أو مسلحة خوفاً على أمواله من النقص أو التعرض لأي أذى.[٤٧] وحتى في الخان كان صاحب الخان يسجل كل شيء، بدءاً بأسماء النزلاء وما يملكونه من مال أو بضائع في سجل، ويحرس الخان رئيس معه عدد من الفرسان والمشاة لحماية الخان وما فيه، وفي الصباح ينادى على كل من بالخان بإسمه ويعطى مايملكه، ثم ترافقهم ثلة من الحرس إلى الخان التالي، أو المحطة التالية، ولا يعود مسؤول الحرس، إلا ومعه تأييد من الخان التالي أو المحطة الثانية بوصول التجار والمسافرين سالمين [٤٨] .

مما تقدم يتبين لنا أهمية التجارة والرحلات التجارية البرية منها والبحرية، في توطيد العلاقة بين المسلمين من جهة وبين الصينيين من جهة أخرى، فأدى هذا إلى إستقرار جاليات إسلامية كبيرة في مدن الصين المختلفة ومنها ميناء خانفوا Canton، وتطورت العلاقات بصورة أكثر عندما سمح للتجار المسلمين بالإختلاط بالشعب الصيني عن طريق الزواج، وتزوج المسلمون النساء الصينيات، وأخذ المسلمون المتزوجين من النساء الصينيات يضيفون أسماء عائلات زوجاتهم إلى أسمائهم [٤٩]،وهذه مخالفة شرعية صريحة لمبادىء الدين الإسلامي التي تؤكد على تبعية الزوجة للزوج، وليس العكس، حتى لو كانت التبعية باللقب فقط .

أما عن النقود التي كان يجري التعامل بها، فكانت النقود الذهبية والفضية والفلوس النحاسية وغيرها من العملات المحلية الأخرى، لكن في بعض الفترات فضلت الحكومة الصينية نظام المقايضة، سلعة بسلعة خوفاً من تسرب النقد إلى خارج البلاد(٥٠).وهذا يشير من ناحية أخرى أيضاً إلى عظم الإستيرادات، بحيث خشيت الحكومة الصينية على النقد الداخلي من النفاذ، ومن ثم عرقلة نشاطاتها الإقتصادية، مع إنعكاسات هذا الأمر على الوضع الداخلي للبلاد.

فالتجارة في الصين وما أعقبها من نشاطات، كانت سبباً مباشراً لناحيتين في الصين، الأولى هي إستقرار قسم كبير من التجار المسلمين مع عائلاتهم في الصين وإحتكاكهم بالشعب الصيني في التعامل والحياة اليومية، مع ما يتبع هذا الإحتكاك من تأثر بقيم هؤلاء التجارالمسلمين مقارنة ببقية الديانات المنتشرة في الصين، ويقف في مقدمتها الديانة البوذية والديانة الكنفوشية المنتشرتين في الصين، والثانية هي زواج التجار المسلمين بالصينيات، فيقتضي من الزوجة أن تلحق بدين زوجها، حسبما نصت عليه أوامر الشريعة الإسلامية، وبهذا إزداد عدد المسلمين في الصين نتيجة هذا الزواج، وعمل التجار المسلمون على رعاية أبنائهم والإعتناء بتربيتهم نتيجة لإمكاناتهم المادية الجيدة مقارنة بأبناء الصين نفسها، وأخذ عدد التجار المسلمين يزداد، كلما قدمت لهم إمبراطورية الصين التسهيلات التجارية، فإزداد عددهم في ميناء خانفوا Cantonبشكل كبير، ثم إنتقلوا إلى بقيةالمدن الساحلية الأخرى شمال مدينة خانفوا Canton، وإستقروا بها تباعاً وكونوا جاليات ضخمة يؤكدها في الوقت الحاضر عظم عدد المسلمين في الأجزاء الجنوبية الشرقية من الصين.

فعلى سبيل المثال قامت إمبراطورية الصين ((دولة السونغ)) [٥١] بفتح ثلاثة موانىء تجارية جديدة، وذلك لعدم كفاية ميناء خانفوا Cantonلتلبية النشاطات التجارية الخارجية، و منغ جاو Ming-Chouوننغ بو Ning-Po (٤٠–١٢١شرقاً و٠٠–٣٠ شمالاً) وهانك جو(١٥–١٢٠ شرقاً و ٥٥–٢٩ شمالاً) Hang-Chou .ويجب أن لا يغيب عن بالنا أن جميع موانىء الصين وسواحلها كانت محمية من قبل الدولة خشية التعرض لأحد من التجار أو السفن بسوء، والذين كان أغلبهم من المسلمين [٥٢] .

وقد منح المسلمون، حرية أداء الشعائر الدينية وبناء المساجد لأداء الصلوات وإقامة خطب الجمعة في هذه المدن، وتطور الأمر بشكل أكثر عندما عين

إمبراطور الصين، قاضياً للمسلمين في المدن التي يكثر فيها عددهم، ومنها مدينة خانفوا Canton ذلك أنه كان ((بخانفوا رجلاً مسلماً يوليه صاحب الصين الحكم بين المسلمين الذين يقصدون إلى تلك الناحية نائباً عن ملك الصين)) [٥٣].وتبقى ناحية مهمة جداً ،ألا وهي سلوك المسلمين مع سكان الصين وتعاملهم الإيجابي معهم، فهم في بداية أمرهم كجالية أجنبية غريبة عن بلاد الصين جنساً ولوناً وديناً، لكنهم مع هذا حظوا بإحترام قلما نجد له مثيلاً في أرجاء العالم المختلفة وهم بهذا على عكس الجاليات الغربية التجارية أو التبشيرية فقد قدم هؤلاء، ثم قدم من بعدهم الإستعمار. وقد أشار غوستاف لوبون إلى هذا بشكل واضح فقال : ((وهم مع طابعهم الخاص إستطاعوا بفضل نباهتهم وإخائهم الديني وتسامحهم أن يلائموا بيئتهم وأن ينموا ويكثروا وذلك خلافاً لأصحاب الديانات الأخرى، الذين أرادوا أن يكون لهم شأن في الصين، فلم يتقدموا خطوة حتى الآن، ونشأ عما فطر عليه مسلمو الصين، من التسامح ... أن يتمتعوا بما للصينيين من الحقوق، وأن يكون منهم حكام وقادة ومقربون من الإمبراطور)) [٥٤]

ونتيجة لموقف المسلمين في الصين، رعتهم الإمبراطورية الصينية أيما رعاية، فكانت تحفظ أموال من يتوفى ولا وارث له، حتى يأتي من يطالب بها، وتبقى هذه الأموال لأكثر من ثلاثة سنوات، فإذا جاء من يطالب بها وصح إدعائه أعطيت له.[٥٥] وحوسب كذلك من يقتل شخصاً مسلماً حساباً عسيراً، إذ كان الإعدام هو مصير من يتعرض للمسلم بالقتل . وإذا قتل شخص مسلم غير مسلم دفع الدية،وقد جاء في الفقه الشافعي إستناداً إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لايقتل المسلم بكافر بل عليه الدية)وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على مدى مكانة المسلمين في الصين وتأثيرهم بتشريع مادة قانونية تحفظ لهم هذا الحق في القانون الصيني.[٥٦] . ويبدو أن هذا الإجراء يشمل من يتعرض للمسلم بأذى، فإذا دافع المسلم عن نفسه وقتل الشخص المهاجم أدى الدية عنه. وهذه رعاية كبيرة جداً، إذ أعطت إمتيازاً

للمسلمين قلما يتمتع به مواطنو الصين نفسها. لكن المسلمين في الصين لم يستغلوا هذا الإمتياز، إذ لم تسجل لنا كتب التاريخ أية حالة إستغلال لهذا الإمتياز، مقارنة بما يحدث في دول أخرى الآن.

وعندما يتوفى الشخص المسلم يدفن وفق تقاليد المسلمين، وتوجد لديناعلامات (وهي قطع رخامية توضع على القبور، يكتب عليها إسم الشخص المتوفى ودعاء له بالمغفرة من الله سبحانه وتعالى، وتاريخ وفاة الشخص) كثيرة لمدافن إسلامية في خانفوا Canton تحمل أسماء المسلمين المدفونين فيها، حيث تعود هذه العلامات إلى فترات تاريخية مختلفة (٥٧) .ونتيجة لكثرة المسلمين في الصين، وإنتشارهم في مدن مختلفة، ومنها مدينة خانفوا Canton، فقد تدرجوا في وظائف الدولة المختلفة، وتعلموا اللغة الصينية، بجانب لغتهم الأم العربية أو غيرها إذا كانوا غير عرب . وقد أشارت المصادر إلى تولي عائلة Phu Shou Kengمسؤولية إدارة السفن في ميناء الزيتون Chuan Chou من سنة ٦٤٧–٦٧٤هـ/١٢٥٠–١٢٧٥م، وتشرف هذه العائلة أيضاً على عملية جمع الضرائب في هذا الميناء للدولة الصينية (٥٨).

ولكن هذا الدعم اللامحدود من قبل إمبراطورية الصين للمسلمين كانت تنتابه بعض العثرات، أثناء الإضطرابات والفتن، فعندما قامت ثورة An Lu Shan قتل الكثير من المسلمين في الصين سنة ١٤٣هـ/٧٦٠م، وكذلك في ثورة عام ٢٢٨هـ/٨٤٢م، إذ قتل الكثير منهم، وخربت بعض الموانىء التجارية المهمة،وأحرقت نتيجةالثورة مدينة خانفوا Canton، ورحل من تبقى من المسلمين منها إبان الثورة إلى البلاد المجاورة (٥٩) كجزر أندنوسيا والفلبين على سبيل المثال،وقد أشارت المصادر الصينية إلى أن الألوف من المسلمين وغيرهم قد قتلوا إبان هذه الإضطرابات (٦٠) . وقد رجع هؤلاء التجار إلى الصين بعد إستقرار الأوضاع فيها.

كما أدت عمليات القرصنة التي كانت تهاجم السفن وهي في طريقها إلى الصين، دوراً في عرقلة التجارة البحرية مع الصين فـ ((لم تخل سواحل الصين أيضاً من القراصنة حيث كثروا وهددوا سلامة التجارة، وقد إستطاع أحد المسلمين في ميناء فوكين Fuken(١١٨—٠٠شرقاً و ٥٠—٢٥ شمالاً) وهو أبو الشوقين وأخوه من أن يحدا من خطرهم، فرقي إلى منصب مراقب سواحل فوكين ثم إلى أمين الأمور البحرية فيها))[٦١] .ويبدو أن نشاط القراصنة يظهر في فترات الإضطرابات التي تحدث في بعض الأوقات وأثناء ضعف الدولة.

وختاماً يتبين لنا أهمية دور التجارة والعلاقات التجارية في إحداث تقارب بين الأمم والشعوب، بما يولده هذا الإحتكاك من تأثيرات جانبية، ففي البداية تحدث عمليات تبادل تجاري، ثم يحدث بعد ذلك تعلم اللغة الأخرى من قبل الطرفين، ثم إستقرار وزواج وإلتقاء ثقافي وديني وعلاقات وطيدة، لاتزال تذكر عبر التاريخ ولاسيما مع بلاد الصين.ولم يقتصر الزواج على عامة الشعب بل تعداه إلى الأسر الحاكمة في بلاد الصين، إذ تزوج أحد الأمراء السامانيين بإبنة ملك الصين،وما أعقب هذا الزواج من علاقات، ودخول إبنة ملك الصين في الدين الإسلامي، مع جواريها وحشمها (٦٢).وسيكون هذا موضوع بحث مستقل إن شاء الله.

الخاتمــــة

كانت الموانىء الصينية، ومنها ميناء خانفوا Canton مراكز إلتقاء بين الشعبين الصيني والإسلامي، فإستقروا في هذا الميناء ومارسوا أعمالهم بكل حرية وطبقوا تعاليم دينهم، وتعاملوا مع الناس بكل أمانة، وإلا لما وجدنا هذا التقدير من الصينيين للمسلمين بشكل خاص، شعباً وحكومة، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى تمتع الناس في الصين بالحرية الدينية، فترك الأباطرة لشعبهم حرية إختيار المعتقد، فإختار الصينيون بأنفسهم الدين الذي يرغبون به، ومن بين هذه الأديان الإسلام .

ولو تتبعنا خارطة إنتشار الإسلام في جنوب شرقي الصين، لوجدنا أن نقطة الإنطلاق، كان ميناء خانفوا Canton ومنه إنتشر إلى المناطق الأخرى في جنوب شرقي الصين عبر الموانىء الساحلية، ثم إنتقلوا إلى المدن الداخلية في الجنوب الشرقي للصين، فحيثما وُجد المسلمون في أية بقعة في العالم تأثر الناس بهم، وهذا ليس من قبيل التعصب لأننا مسلمون، بل هي الحقيقة التي تكلم بها الكثير، ومن بين هؤلاء توماس أرنولد في كتابه ((الدعوة إلى الإسلام)). فتأثر الصينيون بأخلاق هؤلاء التجار وبديانتهم وبأسمائهم، وقد جرى هذا في دولة لم تصلها جيوش المسلمين، فإنتشر الإسلام في هذه المناطق بالطرق السلمية عبر الحوارات الهادئة والملاحظة الدقيقة، والتعامل الجيد.[٦٣] بين المسلمين وسكان الصين، فكانت رحلة التجار المسلمين إلى ميناء خانفوا Cantonرحلة ذات شقين الأول هو التجارة والربح والثاني هو لنشر الدين الإسلامي في بلاد الصين (٦٤).

من خلال ما تقدم يتبين لنا دور التجارة في ظهور علاقات حضارية بين الشعوب، فبدأت العلاقات بمصالح تجارية أعقبها سكن وإستقرار وزواج، ثم إنتهت بإنتشار الدين الإسلامي، الذي حمله التجار المسلمون من مختلف أرجاء العالم الإسلامي، فشارك فيها اليمني والعراقي وسكان الخليج العربي وبلاد خراسان والسند والهند وغيرها من مناطق العالم الإسلامي آنذاك.

الهوامش والتعليقات

١- يسري ا وهري : آسيا الإسلامية ١٩٨٠م، دار ا عـارف القـاهرة ص ٢٥٧–٢٥٨؛ فهمي هويدي : الإسلام الصـ ١٩٨١م سلسلة عا ا عرفة، الكويت، العدد ٤٣ ص ١٦٤. وتسمى أيضاً بـ صـ كلان، وهو الإسم ا غو للمدينة أثناء إحـتلال ا غـول للصـ ، و اها يول مدينة صينية الصـ .مارت هار ان : الصـ ، دائرة ا عارف الإسلامية تر ة أ د الشنتناوي وآخرون، ١٥/٢٠–٢١.

٢- خانسا (Khansa (Hang Cho، هي ميناء هانغ جو ا ا ، شوقي عبـد القـوي عثمان : ارة ا يط ا ندي عصر السيادة الإسلامية ١٩٩٠م سلسلة عـا ا عرفـة، الكويت، العدد ١٥١ ص ٣٠٠

٣- L.Hambis :Khan Fu,The Encyclopedia of Islam ,vol ٤, p,١٠٢٤;

مارت هار ان : خانفوا، دائرة ا عارف الإسلامية، ١٤/٤٧٠.

٤ – عبد العزيز الدوري: تاريخ العراق الإقتصادي القرن الرابـع ا جـري،١٩٧٤م دار ا شرق بـ وت ط٢ ص ٧٠؛عادل ي الدين الآلوسي: ارة العـراق البحريـة مـع أندنوسيا ١٩٨٤م/١٤٠٤هـ، دار ا ريـة للطباعة بغـداد ص ١٥؛عبد الـر ن عبد الكر العا : عمان العصور الإسلامية الأو ١٩٧٧م، دار ا ريـة للطباعـة، بغداد، ص ٢٠١؛هويدي :ا رجع السابق ص ١٩حيث أشار إ أن مدينة كانتـون هي (مع ارات العرب وأهل الصـ).

٥– أبو بكر أ د بن مد ا مدا ا عروف بإبن الفقيه: تصر كتاب البلدان، ١٣٠٢هـ ليدن بريل ص ١٣؛عثمان :ا رجع السابق ص ١٩٧.

٦–- G .F .Hudson :" The Medieval Trade of China" An Article in the book –" Islam and the Trade of Asia "ed, by D.S. Richards, oxford ١٩٧٠ ,pp,١٦٢-١٦٣.

٧-- E. O, Reischauer: " Notes on T'ang Dynasty Sea Routes " Harvard Journal of Asiatic Studies. June,١٩٤٠, vol ٥,No ٢, pp,١٤٣-١٤٤.

الزيتون: هو ميناء جوان شو Chuan Chow مقاطعة فوك ، وقد إشتق ا سلمون إسـم الزيتون من إسم الأشجار ال زرعت حول ا دينة وتعرف بـ Tzha Thung الآلوسـي : ا رجع السابق ص ٢٥٨.وكذلك ميناء لوقـ ، وهو ميناء تونك ، عثمان : ا رجع السابق ص ٣٠٣، ميناء هاينان : (٣٠-١٠٩شرقاً و ٣٠-١٩ الا)الذي مل نفس الإسم الآن Hai Nanعثمان : ا رجع السابق ص ٣٠٤.

٨- Edward Schafer : The Golden Peaches of Samarkand , Los Angeles,١٩٦٣,p١٥.

٩- أبو زيد ا سن السـ ا :رحلة السـ ا إ ا ند والصـ واليابـان وأندنوسـيا، مطبعة دار ا ديث، بغداد ١٩٦١م ص٤٦؛

Chau Yi Liang: "Notes on Marvazi's account on China" "Harvard Journal of Asiatic Studies; vol ,٩,١٩٤٥-١٩٤٧,p٢٢.

١٠-فيصل السامر :الأصول التار ية للحضارة العربية الإسلامية الشرق الأقـصى، بغداد ١٩٧٧م، ص ١٢٤.

١١- أنظر ا ارطة ا رفقة.

طريق ا رير: Silk Road وهو الطريق الـ ي الذي ينطلق من مدينة سيان الصـ ويتجه غرباً إ مناطق التركستان وبلاد ماوراء النهر وخراسان يصل بغداد لينطلق منها إ دمشق إ القسطنطينية لينطلق منها غرباً إ أوربا، وهو أطول طريق اري ربط قـارات العـا القد ،و ي بطريق ا رير لأن السلعة الأساسية الـ تنقل فيه هي ا رير، فضلاً عـن بقيـة السلع الأخرى.وكانت السلع الصينية تتجمع فيه من ا دن الصينية الأخرى الـ ية والبحرية ، ومنها ميناء كانتون وغـ ه لتنقل عـ هذا الطريق، و طريق العودة مل القوافل كل السلع الـ تاجها الصـ من بلاد أوربا وأفريقيا وآسيا. أبو علي أ د بن رسته : الأعلاق النفيـسة ١٨٩١م بريل ليدن ص ١٦٣؛كي، لسترانج : بلدان ا لافة الشرقية، تر ة بشـ فرنسيس

و كوركيس عواد ١٩٥٤م مطبعة الرابطة ص ٥٠.

١٢– عثمان : ا رجع السابق ١٩٩–٢٠٠.

١٣– حكمت هذه الدولة الص من سنة ٦١٧–٩٠٧م /٥قبل ا جرة–٢٩٥هـ أي قرابة ٣٠٠ عام، وإ ذت من مدينة جانغ آن Chang Anعاصمة ا.

١٤– توماس أرنولد : الدعوة إ الإسلام، تر ة حسن إبراهيم حسن، عبد ا يد عابـدين، إ اعيل النحراوي،مطبعـة النهـضة ا ـصرية،القاهرة ١٩٤٧م، ص ٣٣١–٣٣٢.، ص٢٥١. وقـد عرف هذا ا سجد بعدة أ اء منها ((شوق الـ)) و ((الـذكرى الشريفة)) وكانت مساجد ا سلم الص لا تلف هيكلها وشكلها عن بقية دور العبادة الص وح ملابس ا سلم الـص لا تلـف عـن بقيـة ملابـس الصينيـ ،ور ا جاء هذا التصرف لعدم إثارة الـصيني ضـدهم وخاصـة أوقـات الإضطرابات. أرنولد : ا رجع السابق ص ٢٦١؛ هويدي : ا رجع السابق ص ٤١. أما الأستاذين حسن مد جوهر و عبد ا ميد بيومي فقد أطلقا على هذا ا سجد إسـم مسجد ((الذكرى الشريفة)) : الص : دار ا عارف القاهرة ص ٩٦.أما لكة آنـام فهي إحدى مقاطعات الص ا نوبية وتعرف بـ Chan– Ch'ong،

Chau Ju Kua:On the, Chinese and Arab Trade in the twelfth and thirteenth centrise ,Trans By ,Hirth and Rockhell,Oriental press, Amesterdam ,١٩٦٦,part ,I,P ٤٧،٤٩ ,Note ,No ,١.

١٥– الدوري : ا رجع السابق ص ٩٦.

١٦– التاشي : كان ا سلمون يعرفون دائماً يع ا ـصنفات الـصينية القد ـة بإسـم تاشيسش، أي التجيك، والتاجيك هي الصيغة الفارسية الوسطى للفظ الفارسي ا ديث تازي، وهو الصيغة ا فرسة للفظ الآرامي طياي، أي عرب قبيلة طي، و كـن تعليـل التغي ا ع بأن قبيلة طي ا سلم كانت تعدهم فئة من الفرس، بأ م ثلون العـا العر ،وتوسع الإسم ح ل العرب يعاً، وهكذا أصبح يع العر (وا سلم) تعلموا فيما بعد أن يزوا بدقة أكثر ب ش قبائل ا سلم ، وعـاد إسـم التاجيـك،

فضاق إستعماله يث أصبح يدل على ا سلم من أهل ال شرفي فارس – أي كن أن نعمم التسمية لتشمل سكان بلاد العراق وا زيرة العربية وبلاد الشام،–.بارتوالـد : تاجيك، دائرة ا عارف الإسلامية ٤/٤٦٢–٤٦٣.؛ الـسامر: ا رجـع الـسابق ص ١٢٤.والآن توجد قبائل ال أفغانستان مل إسم التاجيك، ور ـا تفـسر هـذه التسمية أن الصيني وا الأقوام الوافعة إ الغرب منهم ذا الإسم وهؤلاء التاجيك هم أيضاً من ا سلم .

١٧– الس ا :ا صدر السابق ص ٣٤.

١٨– مد بن عبد ا اللوا ا عروف بإبن بطوطة: رحلة إبن بطوطة . دار صادر دار ب وت للطباعة والنشر بـ وت ١٩٦٤م ص٤٢١–٤٢٢؛عثمـان : ا رجـع السابق ص ٢٠٠.

١٩– Schafer: op cit p,١٥.

٢٠– العا : ا رجع السابق ص ٢٠١.

٢١–Hudsun :op cit p,١٦٤.:

أبو زيد ا سن الس ا البصري :تاجر ورحالة بصري،عاس القرن الرابعللهجرة /العاشـر للميلاد،ودون رحل سليمان التاجر وإبن وهب إ الص ،وقد إلتقى به ا سعودي مدينـة البصرة عام ٣٠٣هـ/٩١٥م،أغناطيوس كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب ا غـرا العـر ، تر ة صلاح الدين عثمان هاشم١٩٦٣م، مطبعة نة التأليف والتر ة والنشر القـاهرة ط١، ص ١/١٤٢–١٤٥.

ماركو بولو : رحالة إيطا بندقي ا والـد (١٢٥٦–١٣٢٣م) زار بـلاد الـص عهـد الإم اطور ا غو قوبلاي خان وسلك الطريق ال ي والبحري إ الص . كراتشكوفسكي : ا رجع السابق ٢/٩٢٧.

إبن بطوطة :أبو عبد ا مد بن عبد ا اللوا (٧٠٣–٧٧٠هـ/١٣٠٤–١٣٦٨م) رحالة مغر زار تلف أرجاء العـا الإسـلامي وكتـب ملاحظاتـه عـن ا نـد والـص . كراتشكوفسكي : ا رجع السابق ١/٤٢١–٤٢٢.

٢٢– تيه تسينغ : الصلات التار ية ب العرب والص ، مطبعـة الرشـيد بغـداد

١٩٥٤م، ص ١٣.؛

F.A. Phodes:"A Survey of Islam in China" "Muslem .world " vol II,١٩٢١ , p,٥٣.

٢٣– بارتولد: خانفوا؛دائرة ا عارف الإسلامية٨/ ٢١٠.

٢٤– آدم متز : ا ضارة الإسلامية القرن الرابع ا جري، تر ة عبد ا ادي أبو ريدة مطبعة نة التأليف والتر ة والنشر القاهرة ط٢،١٩٧٤م،٢/٣٢٦.

٢٥–Jung Pang Lo : " The Emergence of China as a Sea Power" " Far Eastern Quarterly Maritime Commerce and its relation to the Sung Navy" " Journal of the Economic and Social History of the Orient" vol,XII, part ,I, Jan, ١٩٦٩,pp٦٦-٦٨.: Teobaldo Filesi : China and Africa in the Middle Ages , London ١٩٧٢,p,٧.

٢٦–كلة: من بلاد ا ايا، عرفت فيما بعد لاكا (ملقا، و دد مـ صادرنا العربيـ ة موقعهـ ا نتصف الطريق بـ عمان والصـ ، ولعلها ولاية كيدا Kedah ا لايو الآن، أو هـ ي كرا Kra (تايلاند ا الية) الآلوسي : ا رجع السابق ص ٢٥٤؛ أما ا ـ وا ء العربيـ ة فمنها س اف والبصرة وصحار وعمان وعدن وغ ها.

٢٧– مارت هار ان:الصـ ،دائرة ا عارف الإسلامية ٤٦٤/١٤.وتقع الآن ماليز ـ ا.أمـ ا ا وا ء العربية فهي:

١- س اف: وهي مدينة على ساحل ا ليج العر الشرقي، وهي (دهليز الصـ ، دون عمان وخزانة فارس وخراسان.ا قدسي البشاري:أحسن التقاسيم معرفة الأقاليم بريل، ليـ دن ١٩٠٦م ص ٢٩٤–٢٩٥.

٢- البصرة:تقع جنوب العراق، وهي قاعدة الطرق و ا ميناء هام، تتفرع منها الطـ رق إ الشرق والغرب، وتصلها سفن ا ند والصـ .إسحاق بن ا سـ :آكام ا رجان ذكـ ر ا دائن ا شهورة كل مكان. طوط مصور مكتبة قسم التاريخ/كلية الآداب جامعة ا وصل بدون رقم . ص ١٥.

٣- صحار: وهي قصبة عمان، وهو دهليز الصين، وخزانة الشرق والعراق ومعونة اليمن. ياقوت : المصدر السابق ٢٩٣/٣-٢٩٤.

٤- عدن :تقع في اليمن الآن، وسميت أيضاً بدهليز الصين، إلا أن هذا الميناء كان كثير الموج. مجهول : مختصر النزهة للأدريسي: مخطوط في مكتبة الأوقاف بالموصل مصورة عن مخطوطة جامع الباشا في الموصل برقم ٢١/١٣، ص ٤٣؛ متز : المرجع السابق ٣٢١/٢؛ أمل عبد المحسن السعدي:الأبلة في العصر الإسلامي حتى عام ٢٥٧هـ،رسالة ماجستير بالرونيو ،جامعة بغداد ١٩٧٦م ص٢٥٣.

٥- جدة : وهي ميناء مكة المكرمة، كانت تصلها سفن سيراف وتفرغ حمولتها، لأن سفن سيراف لاتستطيع الإبحار في بحر القلزم (البحر الأحمر) بل تحمل بمراكب خاصة ببحر القلزم.ياقوت: المصدر السابق ١١٤/٢، زكي محمد حسن : الصين وفنون الإسلام، دار الآثار العربية١٩٣٧م/١٣٥٦م،مطبعة دار الكتب المصرية ص ١٣.

٢٨- كويلون Quilion بلدة قديمة في الهند في ولاية نراونكوروهي اليوم ميناء كويلون . الآلوسي : المرجع السابق ص ٢٥٢.

٢٩- الآلوسي : المرجع السابق ص ١١٤-١١٥.

٣٠- W.H. Mereland: The Ships of Arabian Sea about ١٥٠٠.A.D.'' Journal of Royal Asiatic Socity''part ٢, April ,١٩٣٩,p,٦٣.

٣١- إبن بطوطة : المصدر السابق ص ٥٦٥-٥٦٦. وكان يوجد عدد من العاملين في السفينة لمعالجة الثقوب الناتجة عن الرحلة في عرض البحر .

٣٢- Kua: op cit,p.٢١٧.

٣٣- فاليفوط:أو فالفوط، تقع في الجنــــوب الغربي لبلاد الهند.عثمان : المرجع السابق ص ٣٠٢، وتقع قصبة مليبار في ولاية مدراس، السامر : الأصول ص١٤٧.

٣٤- عثمان : المرجع السابق ص ١٢٣..

٣٥- إبن بطوطة : المصدر السابق ص ٥٦٦.

٣٦– الآلوسي : ا صدر السابق ص ١٠٥–١٠٦٠
٣٧– عثمان : ا رجع السابق ص ٢٠١.
٣٨– ا رجع نفسه : ص ٢٥٩–٢٦٠.؛.٢٢-١٢,Kua: op cit p
٣٩– ا روزي : طبائع ا يوان، نشر مينورسكي، لندن ١٩٤٢م ص١١؛متز :ا رجع السابق ٣٢٤/٢.
٤٠– الس ا : ا صدر السابق ص٤٦؛ متز :ا رجع السابق ٣٢٥/٢؛ مد رشيد الفيـل: العلاقات التجارية بـ العراق والصـ القرون الوسطى، لـة ا معيـة ا غرافيـة العراقية لد٢ السنة ١٩٦٤،٢م مطبعة العا بغداد ص ٨٩.؛بارتولد : خانفوا،دائرة ا عارف الإسلامية ٢٠٩/٨–٢١٠.
٤١– السعدي : ا رجع السابق ص ٢٤٨؛عثمان : ا رجع السابق ص٢٦١؛
Lo: op .cit ,p ٧٢.

وكانت التجارة ا ارجية الصـ تتم عن طريق ا زانة العامة (ا زا نة الر ية، حيث إحتكرت الدولة إستـ اد كل أنواع البخور والبضائع الأخرى عالية القيمة، سرى هذا الإحتكار فيما بعد ليشمل اللؤلؤ وعظم السلاحف وقرن وحيد القرن والعاج والصلب وجلد السلاحف وا رجان والعقيق الأ ر واللبان . عثمان : ا رجع السابق ص ٢٥٩. ويبدو أن هذا الإحتكار قد جاء لتلبية طلب البلاط وكبار موظفي الدولة من الوزراء والكتاب ونساء البلاط.

٤٢– أبو الفرج مد بن أ يعقوب إسحاق ا عروف بالند : الفهرست، قيق رضا ـدد إنتشارات طهران ص ٤١٤؛عثمان : ا رجع الـسابق ص ٢٠٣، ٢٨٤.؛ جـوهر : ا رجع السابق ص ٩٦. ولو رجعنا إ كتب ا غرافيـ العرب والرحالـة لوجـدنا أن التجارة كانت عاملاً اساسياً وصف الطريق إ الصـ . ;كراتشكوفسكي : ا رجـع السابق، ج١، ص ١٣٨–١٤٥، ١٥٥، ١٦٢، ١٨٨ – ١٩٠، ٣٣٤–٣٣٥ .

٤٣- المرجع نفسه : ص ٢٤٥.ولو رجعنا إلى كتاب Chau Ju Kua لوجدنا كثرة السلع التجارية المتبادلة بين الصين والبلاد العربية الإسلامية.
٤٤- المرجع نفسه : ص ٢٧٦.الوكيل : وهو الذي يتولى رعاية شؤون التاجر بتصريف بضاعته أو تجهيزه بمواد تجارية دون أن يستلزم حضور التاجر نفسه. الدوري : مقدمة التاريخ الإقتصادي العربي ١٩٧٨م دار الطليعة بيروت ط٢ ص٧٠.
٤٥- المروزي : المرجع السابق ص ١١؛ إبن بطوطة : المصدر السابق ص ٦٣١.
٤٦- عثمان : المرجع السابق ص ٢٦١.
٤٧- أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩١٧م،٤٨٦/٤؛ أدوارد بروي : تاريخ الحضارات، ترجمة يوسف أسعد داغر،بيروت،ط١،١٩٦٥م، ٢٤٣/٣.
٤٨- الندوي : المصدر السابق ص ٤١٤؛عثمان : المرجع السابق ص ٢٦٣.
٤٩- إبن بطوطة : المصدر السابق ص ٦٣٢؛ مورغان كنيث: الإسلام الصراط المستقيم. ترجمة محمود عبد الله يعقوب، مطبعة دار التضامن، ط٢، بغداد ١٩٦٦م، ٢/ ١٧٥.
٥٠-عثمان : المرجع السابق ص ٢٦٤.
٥١- إمبراطورية السونغ الشمالية : حكمت الصين من ٣٤٩-٥٢٠هـ/٩٦٠-١١٢٦م.
٥٢–Filesi: op. cit p,٨ : Lo :op. cit, p,٧
وفي كل مدينة من مدن الصين، مدينة للمسلمين ينفردون بسكناهم، ولهم فيها المساجد لإقامة الجمعات وسواها وهم معظمون محترمون. أرنولد : المرجع السابق ص٢٥٥.
٥٣- السامرائي : المصدر السابق ص ٣٤.
٥٤- غوستاف لوبون: حضارة العرب . ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ط٣، القاهرة ١٩٥٦، ص ٨٥.وقد ذكر أن عدد المساجد في الصين قد بلغ أكثر من ٤٠٠٠٠مسجد في الوقت الحاضر، وكان يلحق بكل مسجد مكتبة تقدم للمسلمين ما يحتاجون إليه من كتب دينية تعينهم على أداء شعائرهم الدينية . جوهر : المرجع السابق ص ٩٧.
٥٥- المروزي : المصدر السابق ص ١٢.

٥٦– القلقشندي : المصدر السابق ٤/٤٨٦؛الإمام تقي الدين أبي بكر بن محمد الحسيني الدمشقي الشافعي:كفاية الأخيار في حل غاية الإختصاردار المعرفة بيروت ط٢ ٩٩/٢.بينما أكدت بعض المذاهب الأخرى من أن المسلم إذا قتل كافراً يقتل به إستناداً إلى الآية الكريمة ((الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى)) البقرة/ ١٧٨.وإستنادا إلى الآية الأخرى ((وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليماً حكيماً))النساء/ ٩٢فيبدو أن المسلمين في الصين فدطبقوا هذه الآية، ونظراً لقوتهم وتأثيرهم فقد صدرت هذه المادة في القانون الصيني .حول دفع دية غير المسلم أنظر: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري:صحيح البخاري دار الفكر بيروت/بغداد ١٩٨٦م ٤/١٨٩.

٥٧– تسينغ : المرجع السابق ص ١٢.

٥٨– Joseph Needham: Science and Civilization in China: Cambridge University press ١٩٧٧,vol, I, p١٨٠.

٥٩– متز : المرجع السابق ٢/٣٢٥.

٦٠–Reischauer: op ,cit vol ٥, no,٢,pp,١٤٣–١٤٤.

٦١– بدر الدين حي الصيني : العلاقات بين العرب والصين .مطبعة النهضة المصرية، القاهرة،ط ١، ١٩٥٠ ص ١٦٦؛ عثمان : المرجع السابق ص ١١٣.بدر الدين و.ل. جي: تاريخ المسلمين الصينيين في الماضي والحاضر، دار الإنشاء للطباعة والنشر طرابلس لبنان ١٣٩٤م/١٩٧٤هـ ص ٢٣.

أمير الأمور البحرية: يتولى هذا الشخص إدارة الميناء والإشراف على السفن القادمة وتفتيشها وحمايتها كما يتولى جباية الضرائب للإمبراطورية الصينية.

فوكين :ميناء ومقاطعة الصين ويقع قرب ميناء الزيتون Chuan Chowويقع مقابل جزيرة تايوان, Ti Jen Yu; A consise Geography of China ١٩٦٤, foreign language press Peking,p,١٣٥.

٦٢– ياقوت : المصدر السابق ٣/ ٤٤٤–٤٤٥، نقلاً عن رسالة أبي دلف الينبعي الذي رافق الوفد الساماني إلى عاصمة الصين سندابل ولقائه الملك الصيني فيها .وتسمى هذه الأسرة الصينية بأسرة التانغ (٦١٧–٩٠٨م /٥قبل الهجرة–٢٩٦هـ)، وهي الأسرة المعاصرة للأسرة السامانية (٢٦١–٣٨٩هـ/٨٧٤–٩٩٩م) وكانت عاصمتها جانغ– آن، (سندابل،كما يسميها أبو دلف الينبعي) .أما الندي فقد أشار إلى أن عاصمة الصين هي مدينة خمدان، وهي

ريف لكلمة جانغ –آن Chang –An (إسم مدينة الملك تسمى دان،ومدينة التجـار خانفوا موضوع البحث) الند : المصدر السابق ص ٤١٣.

٦٣– أنظر ا ارطة ا رفقة اية البحث. جوهر : ا رجع السابق ص ٩٥.وقد أختلف تقـدير عدد المسلم الصا نتيجة لعدم ذكر الإسلام أوغ ه من الديانات الإحصاءات الر يـة الصا الشيوعية، و ذا جاءت التقديرات تلفة فقسم قدرهم بـ ١٥ مليون (هويـدي : ا رجع السابق ص ١٦٦.)والقسم الآخر رفع العدد إ ٥٠ مليون أو أكثر ح أوصـله إ ٦٥ مليون (عادل طه : المسلمون العا ، دار البحوث العلمية ط١، الكويـت ١٩٨٠م/ ١٤٠٠هـ . ص ١٠٤.)

٦٤– عماد الدين خليل: مدخل إ التاريخ وا ضارة الإسلامية،٢٠٠١م ا امعة الإسلامية العا ية، ماليزيا ط١، ص ١٥٣–١٥٤. وهنالك إشارة هي خارج نطاق البحث تش إ كثرة عـدد المسلم بلاد الصا وهي أن حاكم مدينة رقند ألقى القبض على بعض أتبـاع الديانـة ا انوية، وأراد قتلهم، فكتب إليه ملك الصا ((إن بلادي من المسلم أضـعاف مـن بلادك من أهـل دي ، و لف له إن قتل واحداً منهم قتل ا ماعة به،وأخرب المـساجد)) الند : المصدر السابق ص ٤٠١.

المصادر والمراجع

١- أرنولد، توماس : الدعوة إ الإسلام،١٩٧٣م مطبعة النهضة ا صرية، القاهرة. ط٣

٢- الآلوسي، عادل ي الدين : ارة العراق البحرية مع أندنوسيا،١٩٨١م دار ا ريـة للطباعة، بغداد .

٣- بروي، أدوارد :تاريخ ا ضارات، تر ةيوسف أسعد داغر وفريد م داغـر،١٩٦٥م ب وت، ط١

٤- إبن بطوطة، مد بن عبدا : رحلة إبن بطوطة(ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، ١٩٦٤م دار صادر دار ب وت للطباعة والنشر، ب وت .

٥- تسينغ، تيه:الصلات التار ية ب العرب والص ، ١٩٥٤م مطبعة الرشيد بغداد.

٦- ا سي ،تقي الدين أ بكر بن مد الدمشقي الشافعي:كفاية الاخيار حل غاية الإختصار، دار ا عرفة، ب وت ط٢.

٧- ا وهري، يسري:آسيا الإسلامية ١٩٨٠مدار ا عارف القاهرة ط١.

٨- جوهر، حسن مد و عبد ا ميد بيومي : الص دار ا عارف القاهرة.

٩- جي،بـ ـدر الـ ـدين. و. ل: تـ ـاريخ ا ـ ـسلم الـ ـص ا اضـ ـي وا اضر،١٣٩٤هـ/١٩٧٤م دار الإنشاء للطباعة والنشر طرابلس لبنان .

١٠- خليل، عماد الـدين : مـدخل إ التـاريخ الإسـلامي وا ـضارة الإسـلامية، ٢٠٠١م،ا امعة الإسلامية، ماليزيا،ط١.

١١- دائرة ا عارف الإسلامية: تر ة أ د الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد،عبد ا ميـد يونس. بارتولد : خانفوا، بارتولد :الص ؛بارتولد : التاجيك.

١٢-الدوري، عبد العزيز: تاريخ العراق الإقتصادي القرن الرابع ا جـري،١٩٧٤م دار ا شرق، ب وت، ط٢.

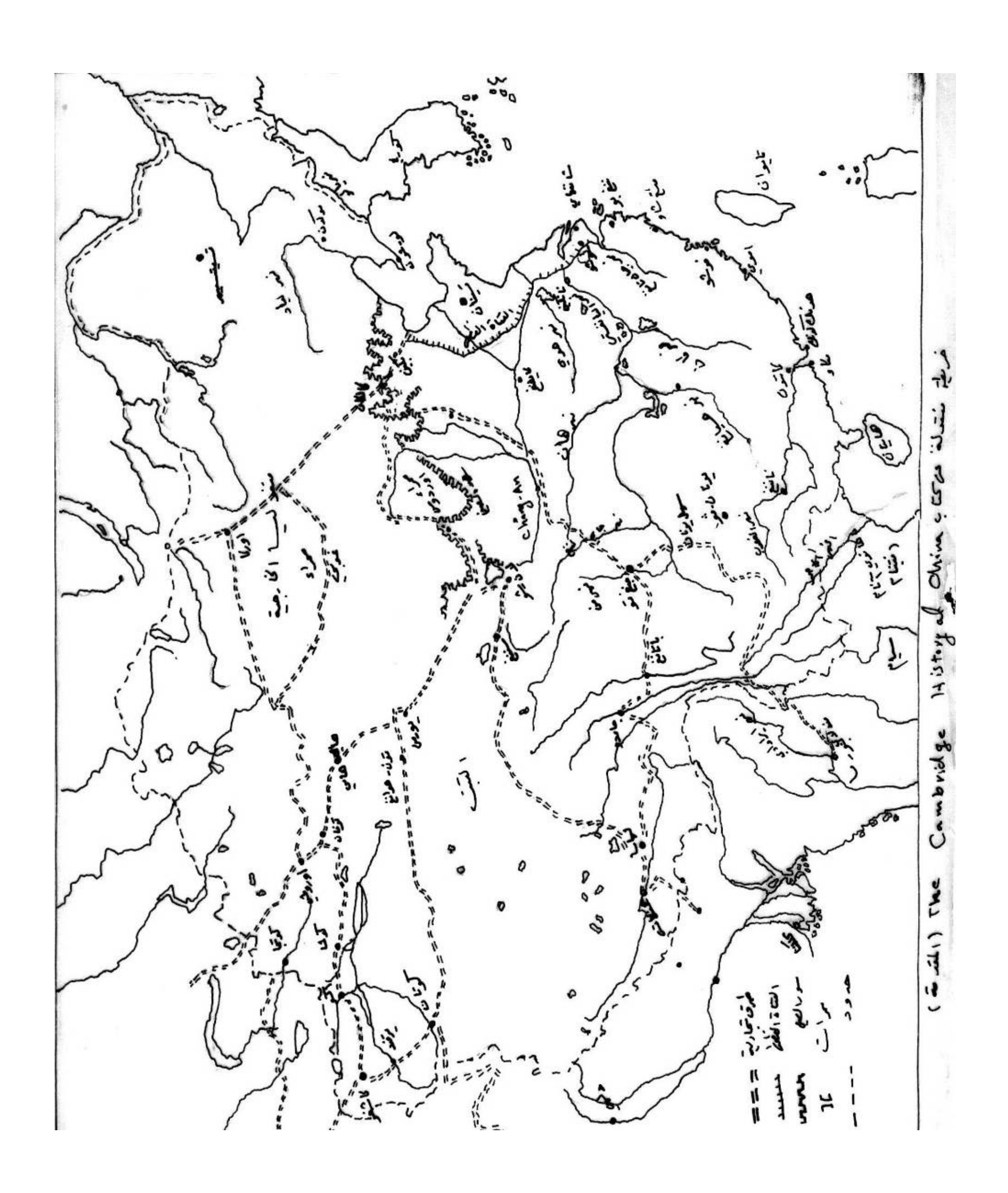
: مقدمة التاريخ الإقتصادي العر ،١٩٧٨م دار الطليعة ب وت.

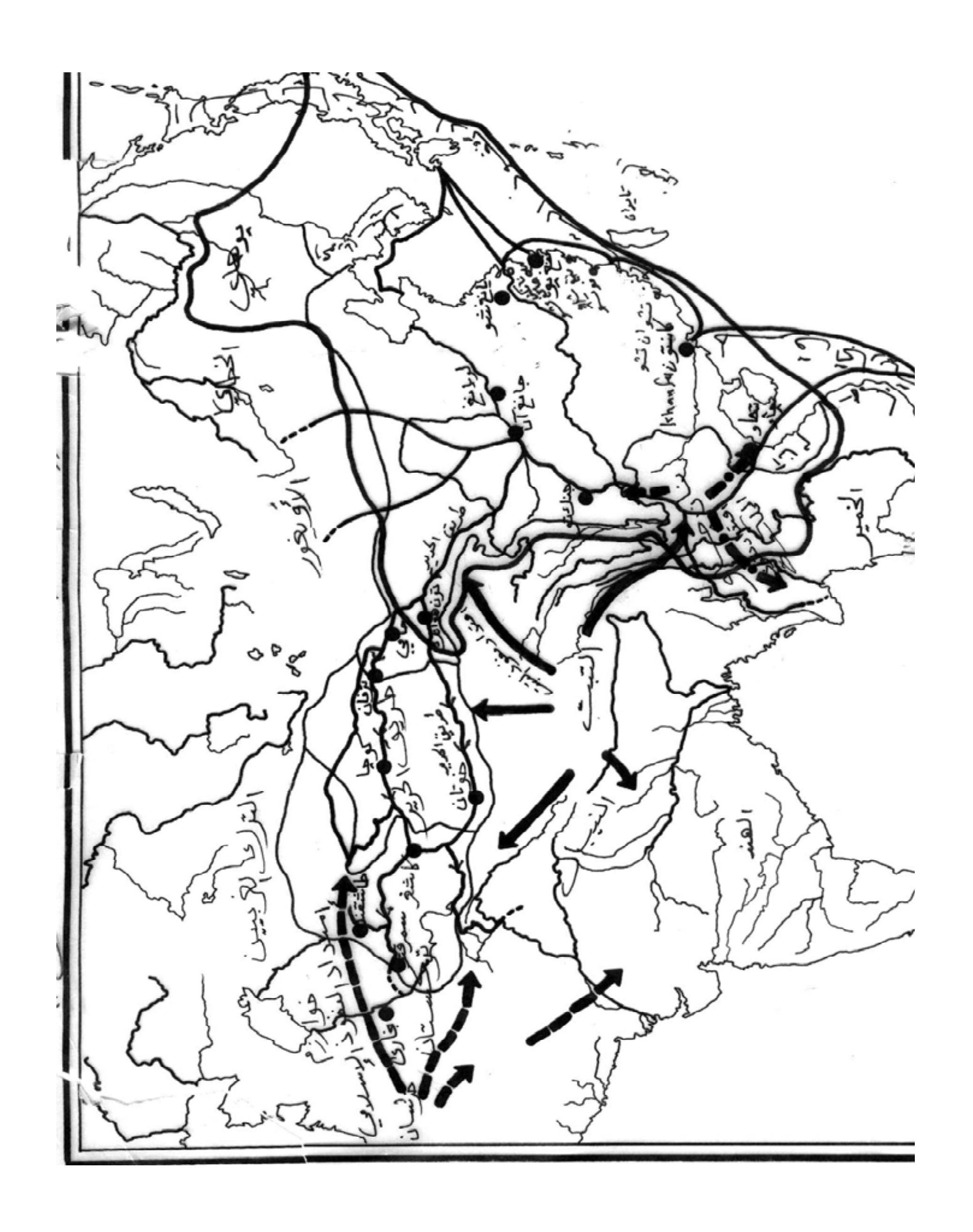
١٣-السامر، فيصل :الأصول التار ية للحضارة العربيةالإسـلامية الـشرق الإقـصى، ١٩٧٧م بغداد.

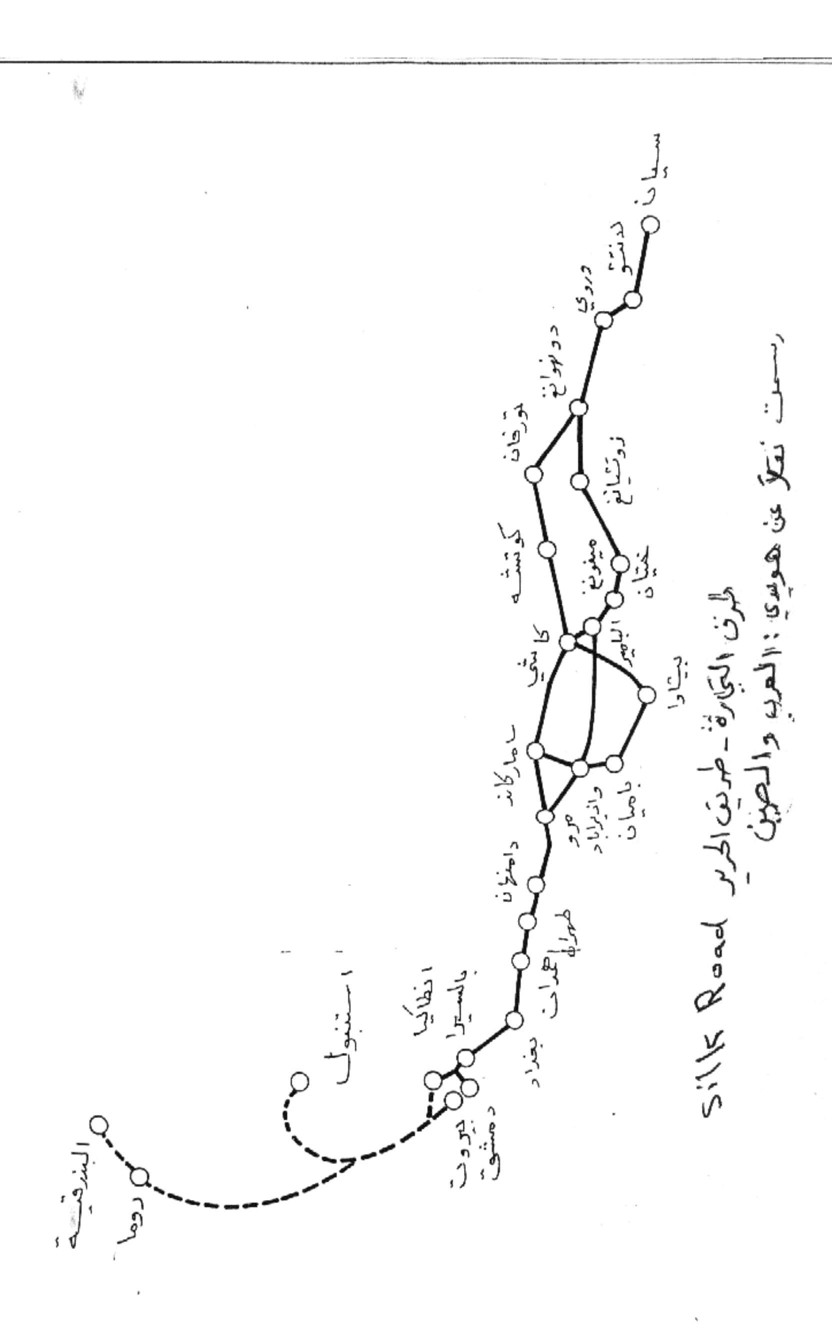
١٤- السعدي، أمل عبد ا سـ :الأبلة العصر العباسي حـ عام ٢٥٧هـ ـ، ١٩٧٦م رسالة ماجستـ / كلية الآداب، جامعة بغداد.
١٥- السـ ا ، أبو زيد ا سن: رحلة السـ ا إ ا ند والصـ واليابان وأندونوسيا (عاش القرن الرابع للهجرة /العاشر للميلاد)،١٩٦١م مطبعة دار ا ديث، بغداد .
١٦- الصيـ ، بدر الدين حي : العلاقات بـ العرب والـصـ ، ١٩٥٠م مطبعـة النهـضة ا صرية، القاهرة ط١.
١٧- طه، عادل : ا سلمون العا ،١٤٠٠هـ ـ/١٩٨٠م دار البحـوث العلميـة ط١، الكويت.
١٨- العا ،عبد الر ن عبد الكر :عمان العصور الإسلامية الأو ، ١٩٧٧م دار ا رية للطباعة، بغداد.
١٩- عثمان، شوقي عبد القوي: ارة ا يط ا ندي عصر السيادة الإسـلامية،١٩٩٠م سلسلة عا ا عرفة عدد ١٥١، مطابع السياسة، الكويت ط١.
٢٠- الفيل، مد رشيد :العلاقات التجارية بـ العراق والصـ القرون الوسطى. لـة ا معية ا غرافيةالعراقية لد ٢، السنة ١٩٦٤،٢م، مطبعة العا ، بغداد.
٢١- إبن الفقيه، أبـو بكـر أ ـد بـن مـد ا مـذا : تـصر كتـاب البلـدان (ت٢٨٩هـ/٩٠٢م)،١٣٠٢هـ ليدن.
٢٢- القلقشندي، أبو العباس أ د بن علي: صبـح الأعشى صناعــة الإنـشا، (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) ا ؤسسة ا صرية العامة للتأليف والتر ة والنشر.
٢٣-كراتشكوفسكي، أغناطيوس يوليا نوفتش : تاريخ الأدب ا غرا العر تر ة صـلاح الدين عثمان هاشم،١٩٦٣م،مطبعة نة التاليف والتر ة والنشر القاهرة .
٢٤-كنيث ومورغان : الإسلام الصراط ا ستقيم. تر ة مود عبد ا يعقـوب،١٩٦٦م، مطبعة دار التضامن بغداد.
٢٥- لسترانج، كي : بلدان ا لافة الشرقية، تر ة بشـ فرنسيس و كـوركيس عـواد ١٩٥٤ م، مطبعة الرابطة بغداد.
٢٦- لوبون، غوستاف : حضارة العرب، تر ة عادل زعيتر،١٩٥٦م، مطبعة عيسى البـا

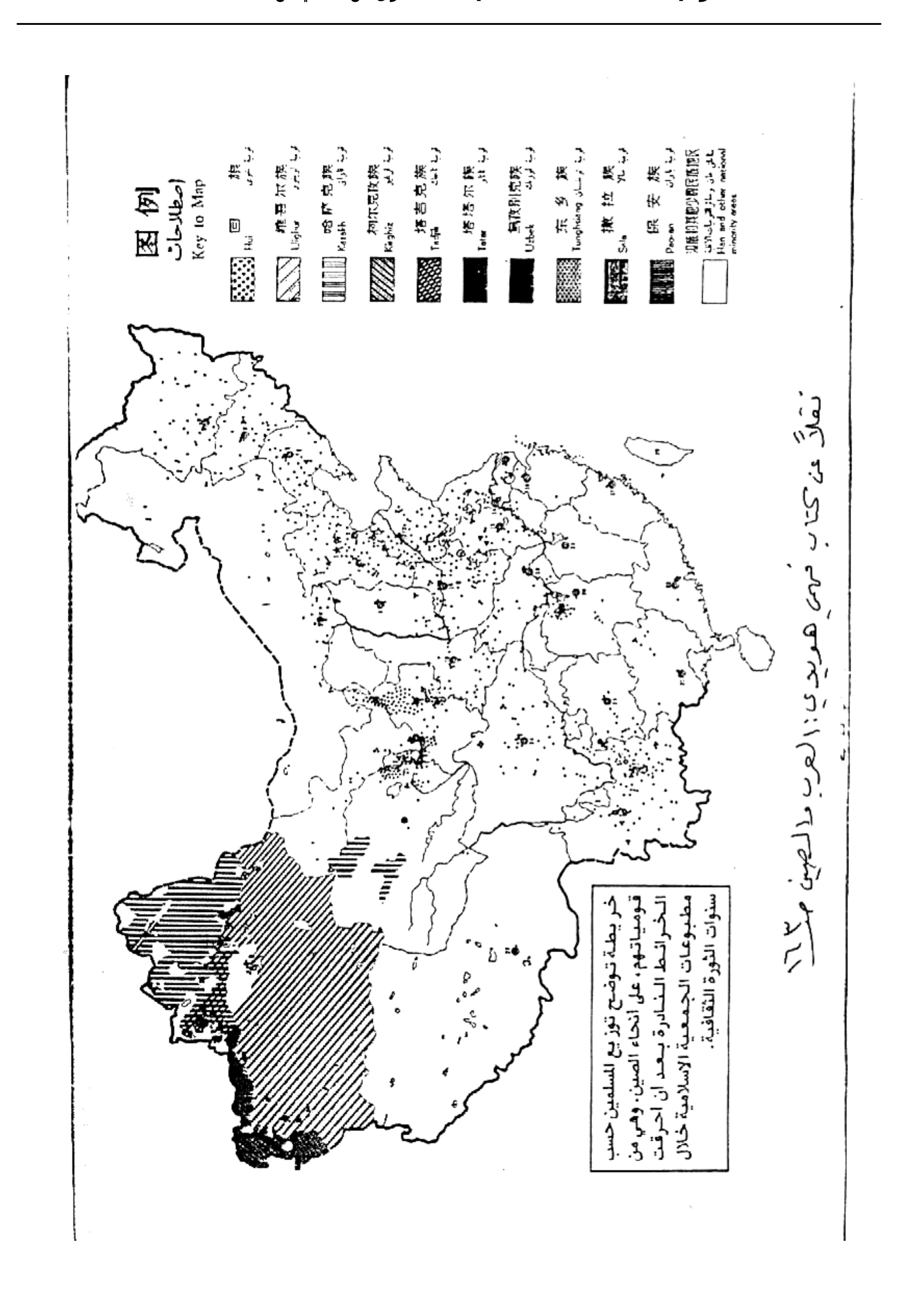
ا ـا وشركاؤه، القاهرة ط٣.
٢٧– متز، آدم : ا حضارة الإسلامية القرن الرابع ا جري، تر ة عبد ا ادي أبو ريـدة، ١٩٤٧م،مطبعة نة التأليف والتر ة والنشر،القاهرة ط٤.
٢٨– ا روزي: طبائع ا يوان. نشر مينورسكي،١٩٤٢م، لندن .
٢٩– هويدي، فهمي : العرب والصـ ١٩٨١م الكويت سلسلة عا ا معرفة العدد٤٣.

٣٠–Encyclopedia of Islam,٢ed,vol ٤,Leyden : Khanfu.: L.Hambis.
٣١–Hudson,G.F:The Medieval Trade of China.
٣٢–Kua, Jau Chau: On the Chinese and Arab trade in the twelfth and thirteenth centuries,Amesterdam,Oriental press ١٩٦٦ .Translated by.Hirth and Rochill.
٣٣–Liang,Chau Yi:''Notes on Marvazi's account on China,''Harvard Journal of Asiatic Studies. Vol,٩,١٩٤٥–١٩٤٧.
٣٤–Lo , Jung–Pang:''The Emergence of China as a Sea Power, ''Far Estern Quartely Maritime Commerce and Social History of the Orient''vol,XII part ,I,١٩٦٩.
٣٥–Mereland,W.H: The Ships of Arabian Sea about ١٥٠٠.A.D''Journal of Royal Asiatic Society''part.٢, April.١٩٣٩.
٣٦–Needham,Josph: Science and Civilization in China. Cambridge University press,١٩٧٧.
٣٧–Phodes,F.A.: A survey of Islam in China''Muslem World''vol II,١٩٢١.
٣٨–Schafer.Edward: The Golden Peaches of Samarkand, Los ,Angeles,١٩٦٣.
٣٩–Reischauer,E,O: Notes on T'ang Dynasty Sea Routes " Harvard Journal of Asiatic Studies '' June,١٩٤٠,vol ٥,No,٢.
٤٠–Philips'Modern School Atlas,ed By B.M Willett &D.Gaylard & G.Atkinson ,٨١ed.


The Cambridge History of China




Silk Road
طرق التجارة – طريق الحرير
رسمت نقلاً عن هويدي: العرب والصين


图例
اصطلاحات
Key to Map
回族 Hui
维吾尔族 Uighur
哈萨克族 Kazakh
柯尔克孜族 Kirghiz
塔吉克族 Tadjik
塔塔尔族 Tatar
乌孜别克族 Uzbek
东乡族 Tunghsiang
撒拉族 Sala
保安族 Pao-an
Han and other national minority areas
خريطة توضح توزيع المسلمين حسب قومياتهم على انحاء الصين، وهي من الخرائط النادرة بعد ان احرقت مطبوعات الجمعية الاسلامية خلال سنوات الثورة الثقافية.
نقلاً عن كتاب فهمي هويدي: العرب والصين